المدرسة الوظيفية في الانثروبولوجيا البريطانية
وتطبيقاتها على مجتمع الخليج العربي

الدكتور قحطان سليمان الناصري
مدير مركز دراسات الخليج العربي

يمكن القول ان الدراسات الانثروبولوجية قد نمت في رحم المناخ الاوربي الاستيطاني وبالذات البريطاني منه. ومن الملاحظ ان الانثروبولوجيين البريطانيين لم يتعرضوا للنظام الاستعماري وبالاخص في تلك الكتابات التي ظهرت في مطلع القرن الحالي. لقد كرس هؤلاء العلماء جهودهم لدراسة عدد من المجتمعات، ولكنهم ـ مع ذلك ـ قد افتقدوا في دراساتهم معايير علم الاجتماع الكلاسيكي. وقد اختار هؤلاء العلماء عدداً من (المجتمعات) الصغيرة الحجم في افريقيا واسيا لكي يجروا عليها دراساتهم. وبحكم ضيق نطاق الاتجاه البنائي الوظيفي الذي انطلق منه هؤلاء العلماء نجدهم يقدمون لنا صورة عن هذه المجتمعات تعكس عزلتها واستقلالها عن الدول الاستعمارية التي كانت تسيطر عليها وقت اجراء هذه الدراسات، والاكثر من هذا ساعدت دراسات هؤلاء العلماء على ارساء ذلك النظام الاستعماري وذلك عن طريق دراسة نظم الشعوب المستعمرة، مما ادى بالاخير الى احكام سيطرة بريطانيا عليها. وعلى العموم، فأن علماء الانثروبولوجيا البريطانية قد

اغفلوا عمدا اثار النظام الاستعماري في خلق شعوب مستعمرة ومتخلفة وذلك بفعل النهب الاقتصادي والسيطرة السياسية لدول تمتلك انذاك كل وسائل العنف والقهر وبدلاً من ان يدرس هؤلاء العلماء الاثار المترتبة على الاستعمار البريطاني لتلك الشعوب اتخذوا منهم مختبرا لمعرفة صدق وصحة نظرياتهم على اعتبار ان ثقافات هذه الشعوب ونظمها الاجتماعية تمثل المراحل الاولى للحياة الانسانية.

ان هذا الموقف الاعمى الذي اتخذه الانثروبولوجيون من النظام الاستعماري لايمكن انكاره او نفيه، وعلى العكس فلقد كان العالم الاستعماري هو العالم الذي ألفه الانثروبولوجيون وترعرعوا فيه.

لقد كان من نتيجة اهمال علماء الانثروبولوجيا البريطانية للاثار التي تركها الاستعمار البريطاني على تلك الشعوب ونظمها الاجتماعية، ان اغلفوا دراسة الابنية التحتية وتحليل الاسس التي تقوم عليها الابنية الثقافية والاجتماعية لتلك المجتمعات، وعلى العكس من هذا ركزت تلك الدراسات على مظاهر الاشياء بدلاً من تحليل العلاقات الكامنة فيها. ويبدو انه كان هناك نفور غريزي لدى علماء الانثروبولوجيا البريطانية من دراسة وبحث اسس النظام الاجتماعي والاستقصاء عن المكونات الاساسية للحياة الثقافية والاجتماعية. اضافة الى ذلك فان تلك الدراسات تجنبت فكرة (الكلية) وذلك نتيجة لرفض فكرة البناء بمعناه الهيجلي والماركسي. ففكرة البناء في استعمالاتها الهيجلية والماركسية والبنيوية تعني الكلية من حيث ادراكها للعلاقات الاجتماعية المكونة للشيء والارتباطات الديناميكية القائمة بينها.

وعموماً فأن الفكر الانثروبولوجي البريطاني لم يستطع ادراك هذه الحقيقة وسبر غورها كما انه لم يستطع ان يفهم من الناحية الاخرى ان المجتمع ظاهرة تأريخية تتطلب دراسة بنائية بالمعنى الذي اشرنا اليه.

واستنادا الى ذلك الفهم والتعريف لفكرة البناء الاجتماعي لدى علماء الانثروبولوجيا البريطانية بدأت الدراسات الانثروبولوجية البنائية. لقد حدد البناء الاجتماعي في تلك الدراسات بمجموعة العلاقات الاجتماعية في المجتمعات العشائرية، وغالبا ماكانت تميل كتابات هؤلاء العلماء الى تصوير تلك النظم والابنية الاجتماعية بكونها مغلقة وثابتة ومتوازنة ويمكن القول ان المدخل البنائي بمفهومه السابق اصبح الاتجاه الطاغي والغالب على الدراسات الانثروبولوجية البريطانية كافة، وبالاخص منذ ان بدأ رادكليف براون بالدعوة اليه والتبشير به. وكان من نتيجة ذلك ان اصبحت مهمة الباحث الانثروبولوجي الاولى ان يقدم عرضا وصفيا دقيقاً للبناء الاجتماعي الذي يدرسه. فالبناء على هذا الاساس ليس الا فكرة او تصورا

بسيطا وذلك لارتباطه بالحقيقة التجريبية للحياة الاجتماعية مباشرة وبدون اية واسطة.

لقد اصبحت المهمة الرئيسية للانثروبولوجيا الاجتماعية ولايزال البحث في مشكلة النظام الاجتماعي (Social Order) والكيفية التي هو عليها، وحالما يعتاد الباحث الانثروبولوجي الاجتماعي المجتمع الذي يدرسه بكل مايحتويه من عمليات اجتماعية ومن انماط الافعال وردود الافعال تبدأ الحياة الاجتماعية للناس الذين يدرسهم تعرض نفسها كحقائق ثابتة ومنظمة ورتيبة، فالمجتمعات صغيرة الحجم تهيء لعلماء الانثروبولوجيا فرصة نادرة لدراسة التماسك الاجتماعي ومعرفة الاسس التي يقوم عليها التكامل الثقافي والاجتماعي. وعليه يمكن القول ان مشكلة النظام في مثل هذه المجتمعات ليست مشكلة يصل الى معرفتها الانثروبولوجي عن طريق التجريد، فالمجتمع البدائي كما يفترض سلفا من قبل الانثروبولوجيين يتميز بالعزلة والاستقرار والثبات وهذا ماتؤكده اغلب المعلومات الاثنوجرافية التي يجمعها علماء الانثروبولوجيا بأعتبارها مشكلة تفرضها الظواهر ذاتها في مثل هذه المجتمعات، فهي اي هذه المجتمعات لاتتطلب اكثر من الوصف المنهجي المنظم لوقائع الحياة الاجتماعية فيها دون اللجوء الى استخدام المنهج التجريدي الذي تؤكده النظرية الانثروبولوجية ذاتها باعتبارها من الوسائل الاساسية في التحليل السوسيولوجي، اضافة الى ذلك عزز الانثروبولوجيون افتراضاتهم هذه عن النظام والتكامل الاجتماعي في الحياة الاجتماعية بتأكيدهم المستمر على دور ووظيفة الاعراف والتقاليد والقيم في تنظيم وترتيب العلاقات بين الافراد والجماعات. فالاساليب السلوكية وكل العلاقات الاجتماعية التي يرتبط الناس بعضهم بالبعض الاخر من خلالها توجهها وتسيطر عليها المعايير العرفية والتقاليد اضافة الى مايرتبط بها من عقوبات بحيث تكفل بالاخير نوعا من الانسجام والتكامل بين افراد المجتمع وتحدد علاقاتهم بعضهم بالبعض الاخر وتسمح لافراد المجتمع بالتنبؤ سلفا عن نوع السلوك الذي يتوقعونه من الافراد الاخرين. ان مثل هذه الطريقة في الدراسة تؤكد في تحليلها للحياة الاجتماعية في المجتمعات البدائية كما هو واضح، قواعد وانماط السلوك الاجتماعي كميكانزمات السيطرة الاجتماعية والتكامل الاجتماعي في المجتمع البدائي والجماعات التي تكونه كالجماعات القرابية والسياسية والاقتصادية. وبهذه الطريقة تدعى الانثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية قدرتها على الكشف عن نسيج المجتمع. فهي تؤكد اهمية التنظيمات الاجتماعية كوسيلة من وسائل ترتيب العلاقات الاجتماعية وتهمل الثقافة التي تعتبر الوعاء الذي يشكل تلك التنظيمات ومايترتب عليها من علاقات. فالمدخل البنائي لدراسة المجتمع البدائي اذن ليس الاوصفا للنظم الاجتماعية والعرفية والقانونية والارتباطات القائمة بينها كما هو الحال

في العلاقات التي تقوم بين النظم القرابية والسياسية والاقتصادية والقانونية. وبشكل عام يمكن القول ان البناء الاجتماعي في الانثروبولوجيا البريطانية قد اعتبر بهذا الشكل ونظر اليه بهذه الصورة المطابقة لفكرة دور كايم عن البناء المورفولوجي ان العنصر الداينميكي الذي اضيف الى هذا المدخل الوصفي للظواهر الاجتماعية هو فكرة الوظيفة، فالنظم الاجتماعية اعتبرت كأجزاء وظيفية للبناء الاجتماعي الذي يحافظ عليها كثيرا او قليلا في حالة من الثبات والتوازن وبقدر استمرار النظم الاجتماعية في ادائها لهذا الدور في المحافظة على النظام الاجتماعي الكلي. واخيرا يؤكد هذا المدخل التصوري ميكانزمات السيطرة التي تقوم بوظيفة صيانة التوافق مع النظام المعياري من ناحية والى ادراك الحياة الاجتماعية كشبكة معقدة ومترابطة من العلاقات الاجتماعية من ناحية اخرى.

ان فكرة البناء الاجتماعي التي تطورت ونمت بهذه الصورة في الانثروبولوجيا البريطانية بقيت تجريبية في هدفها الى حد كبير وهي في تحليلها الاخير للمجتمع تشير ببساطة الى كلية العلاقات الاجتماعية الحقيقية الموجودة في نسق اجتماعي معين والتي يمكن ملاحظتها كشبكة من الارتباطات والعلاقات المنظمة. وكما وصفها وصاغها رادكليف براون في مقالته عام ١٩٤٠ عن البناء الاجتماعي (**Social Structure**) التي تقول (ان الملاحظة المباشرة تكشف لنا ان الكائنات الانسانية مرتبطة بعضها مع البعض الاخر بشبكة من العلاقات الاجتماعية)[١].

ان دمج وتوحيد فكرة البناء هذه في المدخل الوظيفي قد صيغت من قبل رادكليف براون بحيث يمكن القول إن الكائنات الانسانية عنده مرتبطة بمجموعة من العلاقات الاجتماعية وان استمرارية البناء الاجتماعي تشبه الى حد كبير استمرار الكائن او البناء العضوي اذ انهما او كليهما لاينهدمان بتغيير وحداتهما. . فاستمرارية البناء يمكن المحافظة عليها بدراسة عملية الحياة الاجتماعية التي تتكون من مجموعة المناشط والتفاعلات التي تقوم بها الكائنات الانسانية والجماعات المنظمة التي يتحدون فيها. فالحياة الاجتماعية للجماعة قد حددت هنا كوظيفة للبناء الاجتماعي. والمهم في هذا كله هو ان رادكليف براون يأخذ الوظيفة الاجتماعية على انها نصيب النشاط الاجتماعي الجزئي في النشاط الكلي الذي يؤلف هو جزءا فيه فوظيفة اي ظاهرة من الظواهر ـ او اي عنصر من عناصر السلوك الاجتماعي ـ هو الدور الذي تؤديه هذه الظاهرة في الحياة الاجتماعية التي تعبر عن النسق الاجتماعي الكلي وتصدر عنه. والمقصود بالنسق الاجتماعي الكلي (**Total Social System**) هنا هو البناء

---

١ ـ A. R. Radcliffe - Brown, On Social Structure, in Structure and Function in Primitive London, Cohen and West, 1952,. P. 190

الاجتماعي، وكذلك كل المناشط والممارسات والعادات الاجتماعية التي ينعكس البناء فيها من ناحية ويستمد منها وجوده وكيانه من الناحية الاخرى. وبهذا المعنى فأن النسق الاجتماعي الكلي يتمتع بنوع من الوحدة يسميها رادكليف براون بالوحدة الوظيفية (**Functional Unity**) ويقول اخر فأن الوظيفة هي الحالة التي تعمل فيها كل اجزاء النسق الاجتماعي معا بحيث تكون بينها درجة كافية من الانسجام والاتساق والاطراد الداخلي بحيث تمنع من قيام الصراعات الدائمة الخطيرة التي يمكن حلها او التحكم فيها[1].

مما سبق يمكن القول ان الكليةفي الانثروبولوجيا كما يعرفها رادكليف براون لاتتضمن في الحقيقة اكثر من فكرة مجموع العلاقات الاجتماعية في المجتمع (اي البناء الاجتماعي) الذي يبقى في الوجود، كما ذكرت سابقا نتيجة استمرار عملية الحياة الاجتماعية اما الكلية البدائية (**Primitive totality**) فلا تتعدى كونها (مجموعة الانماط الاجتماعية ذات الصفة التنظيمية والمعيارية) وفي الواقع فأن طريق الدراسة البنائية الوظيفية في الانثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية هذه لاتتضمن الا قدرا ضئيلا من التجريد فهي ببساطة تعتمد على الوصف في دراسة البناء الاجتماعي، اما ماتتضمنه من تحليل فهو الاخر ليس الا محاولات لوصف الاشكال العامة للبناء الذي نتوصل الى معرفته عن طريق الاستقراء او دراسة الجزئيات لمعرفة صورة المجتمع.

لقد اضطر رادكليف براون ازاء الغموض الذي يكتنف دراساته عن البناء الاجتماعي الى التمييز بين نوعين من البناء وهما البناء الاجتماعي الواقعي والصورة البنائية، غير ان هذه الفكرة هي الاخرى لم تنقذ براون من الانتقادات المريرة التي وجهت اليه فمثلا يرفض جريفتش الفكرة من اساسها لابل انه يذهب الى حد اتهام رادكليف براون بأنه يستخدم اصطلاح (البناء الواقعي او المشخص) لكي يتفادى الالتجاء الى فكرة (الظواهرالاجتماعية الكلية) التي قال بها كثير من علماء الاجتماع الفرنسيين وبخاصة مارسيل موس كما انه يستخدم اصطلاح (الصورة البنائية) ليهرب من مواجهة المشكلات الرئيسية وهي ان مفهوم البناء يتضمن في الحقيقة كل مايتعرض له (البناء) من تفكك وانحلال وكذلك محاولة اعادة تركيب ذلك البناء من جديد، فهي كلها عملية واحدة مستمرة ومتصلة وتؤلف مظهراً مهما من مظاهر المجتمع المحلي، والواقع ان جريفيش يرى ان فكرة البناء الاجتماعي (ذاتها ليست الا ستاراً يختفي وراءه علماء الاجتماع والانثروبولوجيا على السواء في محاولتهم تحليل الحياة الاجتماعية) لان الملاحظ ان معظم الدراسات انتهت بأصحابها الى تحويل الحقيقة الاجتماعية، الى كومة من العلاقات الاجتماعية او (الارتباطات) كما يسميها ليفي

---

١ ـ ابو زيد،احمد، المفهومات، الجزء الاول، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥، ص ٧٩ ـ ٨٠.

ستراوس، والادوار والقوانين والنماذج والقيم التي يصعب التعرف عليها والتأكد من صحتها مثلما يصعب التعرف على مبدأ تكاملها في وحدة اجتماعية واقعية[٣].

تاثير برونزلاف مالينوفسكي

يعود الفضل في تغيير الانثروبولوجيا في العشرينات من هذا القرن الى الانثروبولوجي البولوني الاصل برونزلاف مالينوفسكي وذلك بفضل دراساته المفصلة والمركزة عن جزر تروبرياند واهتماماته الفكرية بموضوع الانثروبولوجيا غير ان رادكليف براون هو الذي اضفى عليها الصفة العلمية وحدد اطرها التصورية والفكرية.

وفي الحقيقة ان مالينوفسكي كان فارس الانثروبولوجيا المغوار باعتباره اول من اثار ومهد للدراسات الميدانية المتعمقة من ناحية وباعتباره ثانيا أول من قام بالتحليل الوظيفي للثقافة. غير ان منهجه الوظيفي وفهمه للانثروبولوجيا الوظيفية ليس شيئا اكثر من مجرد الدراسة الحقلية والوسائل التي تستخدم في تلك الدراسة، واخيراً فهي ليست اكثر من اداة تمكن عالم الانثروبولوجيا من ان يبسط ملاحظاته في صورة متكاملة اثناء وصفه للحياة البدائية فكأن مالينوفسكي لم يكن يعتبرها اذن فكرة منهجية بمعنى الكلمة، ولذا كان يعجز دائما ان يطبقها تطبيقا كاملا حين كان يعرض لمناقشة النظرية العامة للانثروبولوجيا[٤]. وبأختصار فأن وظيفة مالينوفسكي يمكن ان توصف بالتجزئية وذلك باعتبارها تساعد الباحث على تحليل الثقافة الى عدد من النظم بحيث يمكن دراسة كل نظام منها في اوجهه ومظاهره العديدة مادامت هذه النظم ترتبط احداها بالاخرى ويؤثر بعضها ببعض رغم تمايزها[٥]، اضافة الى ذلك فأن مالينوفسكي قد استعان في بداية الامر بالنظريات السيكولوجية لبا فلوف وفونت وكذلك استعان بالتحليل النفسي، غير انه لم يلبث ان نبذ هذه الاتجاهات وبخاصة نظريات التحليل النفسي وربما كانت الانتقادات التي وجهها ايفانز برتشارد في كتابه الانثروبولوجيا الاجتماعية لنزعة مالينوفسكي الوظيفية والى الطريقة التي اتبعها في كتابه عن جزر تروبر ياند خير من يوضح هذا الامر، يرى ايفانز برتشارد ان هذه الدراسة (لم ترتفع عن ان تكون مجرد تركيب وصفي للاحداث، فهي ليست نظرية تكاملية بالمعنى الدقيق). ولايبدو ان مالينوفسكي اختار المعلومات التي يوردها في

---

٣ - ابو زيد، المصدر السابق ص ٤٩.

٤ - ايفانز ريتشارد، الانثرولوجيا الاجتماعية - ترجمة الدكتور احمد ابو زيد، مطبعة المعرفة، الاسكندرية ص ٩٨.

٥ - المصدر السابق ص ٩٨

كتابه اتبعها لمعيار واضح ودقيق ولم تكن به حاجة الى ذلك لان كل شيء يرتبط بكل شيء اخر في الواقع الثقافي بروابط زمانية ومكانية[٦].

إن الاتجاه السايكولوجي او الثقافي بشكل ادق الذي تلونت به كتابات مالينوفسكي قد غدا طابعاً سوسيولوجيا بفضل كتابات رادكليف براون الذي تأثر بكتابات اميل دوركايم . فرادكليف براون عند مقارنته لطريقة البحث الاثنولوجية بطريقة البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية في مقالته (طرق البحث في الاثنولوجيا والانثروبولوجيا) في كتابه (البناء والوظيفة في المجتمع البدائي) يدعي ان الانثروبولوجيا الاجتماعية من العلوم الاستقرائية والتعميمية، وهي ليست نوعا من العلوم التاريخية اوالسيكولوجية ولاتتبنى طرق البحث فيها، وان هدف العلم (اي الانثروبولوجيا الاجتماعية) هو اكتشاف القوانين السوسيولوجية العامة التي تحكم العلاقات بين الظواهر الاجتماعية وذلك باتباع الطريقة التحليلية المقارنة للانساق الاجتماعية[٧].

لقد كان من نتيجة ذلك الاعتقاد ان تعرض منهج البحث التأريخي الذي يطلق عليه اسم (التأريخ الظني او الفرضي) لنقد شديد على اعتبار انه نوع من الحدس او التخمين للاحداث او المراحل التأريخية، اضافة الى الانتقادات التي وجهت الى كل من المدرسة التأريخية، والانتشارية وفي الوقت نفسه اهملت التفسيرات السايكولوجية الظواهر الاجتماعية على اعتبار ان مثل هذه التفسيرات لاتصلح للانثروبولوجيا الاجتماعية التي غدت تعتبر نفسها علما مستقلا . لقد اعتبر رادكليف براون ومثله في ذلك مثل دوركايم ان موضوع دراسة الانثروبولوجيا الاجتماعية هو (العملية الاجتماعية ككل) وليس الافراد ومايتنابهم من مشاعر وانفعالات ودوافع[٨] وعليه اعتبرت الانثروبولوجيا الاجتماعية علم الانساق الاجتماعية التي تهدف من وراء دراستها اكتشاف القوانين الاجتماعية بأتباعها المنهج الوظيفي . غير ان الطريقة هذه ليست اكثر من مجموعة من الشروط او المتطلبات النظرية الواجب توفرها في تحليل الانساق الاجتماعية فهي اذن لم تقنن من قبل رادكليف براون ولا من قبل اي عالم انثروبولوجي جاء من بعده، ولكنها تشير في احسن الاحوال الى اتجاه عام (**General direction**) في دراسة الظواهر الاجتماعية من قبل الانثروبولوجيين. وفي مقالة رادكليف براون المشهورة عن فكرة الوظيفة لم يكن لديه عن النظرية الوظيفية سوى

---

٦ ـ المصدر السابق ص ٩٨ ـ ٩٩

٧ ـ المصدر السابق ص ٩٩

٨ ـ Methods of Ethnology and Social Anthropology in Structure and Function in Primitive Society Cohen and West, London 1953, P.17.

انها عبارة عن (محاولة لرؤية او ادراك الحياة الاجتماعية ككل اي كوحدة وظيفية فالوظيفة تعني نصيب النشاط الاجتماعي الجزئي في النشاط الكلي). ان وجهة النظر هذه تعني ضمنا ان النسق الاجتماعي يتمتع بنوع من الوحدة التي يسميها رادكليف بالوحدة الوظيفية (**Functional unity**) وفي الحقيقة، فأن الانثروبولوجيا البريطانية لاتعني شيئا اكثر من هذا الافتراض عن الكلية الاجتماعية ووحدتها الوظيفية التي يمكن التوصل الى معرفتها عن طريق الملاحظة والتمرين ومن المفيد في هذا الصدد ان نتعرف على وجهة نظر رادكليف براون قدر مايتعلق الامر بوجهة نظره عن الطريقة العلمية وتصوره عن الحقيقة الاجتماعية فالعلم الطبيعي عنده هو البحث المنهجي في بناء الكون كما تظهره لنا الحواس.[٩].

واستنادا الى هذا المنطق فأن مهمة العالم ليست اكثر من تسجيل لما يلاحظه من احداث تتميز بالاطراد او التناسق والتكرار في الكون وترتيبها على شكل تعميمات او قوانين. فالحقيقة في هذه الحالة ليست الا مانلاحظه من ظواهر، اما عن العلاقات الداخلية الكامنة في صلب الظواهر فأن مثل هذه الطريقة لاتدلنا عليها بأي شكل من الاشكال، وكذلك الامر فيما يتعلق بتكوين النماذج والنظريات التي يمكن ان توضح لنا بشكل علمي مانلاحظه من ظواهر ومايقوم بينها من تداخلات وارتباطات. ان وجهة النظر هذه عن الطريقة العلمية لاتقودنا الى اكثر من الوصف لما نلاحظه من انماط متكررة وتصنيفها عن طريقة مقارنتها بما يماثلها من ظواهر، ثم القيام ببعض التجريدات كنتيجة لتصنيف الظواهر موضوع الدراسة. يبدو واضحا مما سبق ان هذه هي الطريقة الاستقرائية للتجريبية البريطانية... فكل الظواهر تخضع لقانون عام في زعمها، وبالنتيجة فأن من الممكن عن طريقه تطبيق بعض المناهج المنطقية ان نكتشف ونبرهن على وجود بعض القوانين او الصيغ العامة التي تتميز بدرجة معينة من العمومية. ان جوهر الطريقة الاستقرائية هذه تعتمد على التعميم وذلك من خلال ملاحظة الاحداث والانماط المتكررة في الحياة الاجتماعية لقد ادى هذا المنهج التجريبي الاستقرائي قدر مايتعلق الامر بتطور النظرية في الانثروبولوجيا البريطانية الى اعتبار الافكار والتصورات بالضرورة تصورات تجريبية لاتشير الا لما نلاحظه من عمليات في الحياة الاجتماعية الواقعية وبالتالي الى عدم امكانية التغلغل في الظاهرة لمعرفة طبيعتها الداخلية واستنادا الى كل ذلك يمكن القول ان التحليل السوسيولوجي ليس بأمكانه ان ينتزع المظهر الخارجي للواقع الاجتماعي وذلك بقصد الكشف عن

---

٩ ـ The Concept of Function in Structure and Function in Primitive Society P. 180

بنائه الداخلي فهو اذن محدد على ملاحظة الاشكال الخارجية للنظام الاجتماعي، ولهذا السبب تزخر الكتابات الانثروبولوجية بالتأكيد على الترتيبات المعيارية للانساق الاجتماعية التي يمكن بواسطتها المحافظة على الانسجام والتوافق للنظم والعلاقات الاجتماعية التي تكونها.

تاثيرات سير هنري سمنرمين

ان مناقشة الاثار التي ترتبت على هذا التصور عن العلم وماأثاره من ازمة في الانثرولوجيا الاجتماعية سأرجيء الحديث عنه في الوقت الحاضر لأعود اليه لاحقا. غير انه يمكن القول الآن أن رادكليف براون بتحديده لمهمة الانثروبولوجيا الوظيفية على ملاحظة الاحداث المتكررة وتسجيلها قد هدم بل قل خرب ذلك التمييز الذي اقامه مونستكيو في كتابه (روح القوانين) مابين القوانين الطبيعية والقوانين المعيارية. فأذا كانت القوانين السوسيولوجية ماهي الا تقريرا وتدوينا لما نلاحظه من انماط متكررة من الظواهر، فهي اذن ليست اكثر من تسجيل وصفي للقواعد الشرعية(**Legal**) والعرفية والتي يستخدمها الناس للمحافظة على ثبات العلاقات الاجتماعية التي تربط بعضهم بالبعض الاخر وبالأخير فأنها لاتعبر عن العلاقات الضرورية المستمدة من طبيعة الاشياء كما اراد لها مونستكيو ان تكون.

ان التأثيرات الاساسية والمباشرة التي ساعدت على تكوين الانثروبولوجيا الاجتماعية كانت بلا شك كتابات دور كايم اضافة الى كتابات علماء التشريع المقارن في انكلترا من امثال سير هنري سمنرمين. لقد تركت كتابات سير هنري سمنرمين وبخاصة كتابه عن القانون القديم كما تركت كتابات دور كايم وبخاصة في كتابه عن تقسيم العمل، اثارا عميقة في التفكير النظري للانثروبولوجيين الذين ظهروا بعد رادكليف براون. فكتاب مين(**Maine**) عن القانون القديم كان اقرب الى التيار الرئيسي للنظرية الاجتماعية في نهاية القرن التاسع عشر من كتابات غيره من امثال متلند وفينو جرادوف فكتابات هؤلاء لم يكن لها التأثير العميق والمؤثر على النظرية الانثروبولوجية وفي تكوين بعض الافكار او التصورات الرئيسية مثل مبدأ العصبة والنسب ومبدأ الانتساب الامومي والابوي. لقد كان سير هنري سمنرمين من علماء المدرسة التطورية وهو لذلك قد نظر الى التطور التأريخي للقانون على انه تطور من المكانة (**Status**) الى العقد (**Contract**) والذي يعني تغيرا او انتقالا من الحقوق والواجبات الشرعية التي تقوم على المكانة أو المرتبة الاجتماعية الى القانون الذي يقوم على العقد. ان هذه الافكار والتصورات التي جاء بها مين لازالت من الافكار

المحورية في النظرية الاجتماعية للقرن العشرين، اضافة الى تأثيرها الكبير على عدد كبير من علماء الاجتماع الذين استلهموا من نظريته تصوراتهم الثنائية كما هو الحال عند فردنياد تونيز في الجيمنشافت والجيزلشافت وماكس فيبر عن انماط العمل العقلي ورد فيلد عن المجتمع الريفي والحضري وبيكر عن المجتمع المقدس والمجتمع الدنيوي ودور كايم عن التضامن العضوي والتضامن الميكانيكي. لقد نظر مين الى النظم القانونية في المجتمع باعتبارها مجموعة من القوانين والقواعد التي تساعد الناس اضافة الى مالديهم من انماط اخرى، على ترتيب وتنظيم حياتهم وهو بذلك قد نظر الى القانون ليس باعتباره بناءا مستقلا ولكن في علاقته بالنظم الاجتماعية الاخرى (النظام القرابي والسياسي والاقتصادي) والتأثيرات التي تتركها على بعضها من حيث صفتها وتطورها. وثانيا نظر الى القانون باعتباره قد اشتق اصلا من الاعراف والتقاليد التي تنظم حياة الناس في المجتمعات البدائية والقديمة، فهو اذن قد تطور من نظام القواعد الشفوية التي يرثها الناس بعضهم من البعض الاخر الى ان تبلور على شكل قواعد واضحة ومقننة وفي الوقت نفسه يمكن القول ان سير هنري سمنرمين قد نظر الى القانون من وجهة النظر السوسولوجية، فالقانون يعتبر من الوسائل التي تساعد على فهم المجتمع، والمجتمع بدوره هو الاخر من الوسائل التي نفهم بواسطتها القانون. لقد ورث رادكليف براون هذه الافكار وطبقها على المجتمعات التي تفتقر الى القانون المدون وتتحكم فيها الاعراف واعتبر القواعد العرفية والتشريعية حيثما توجد انظمة ذات صفة جزائية وظيفتها الاساسية فرض السيطرة الاجتماعية على افراد المجتمع. وبالمثل كانت لدور كايم وبخاصة كتابه تقسيم العمل في المجتمع تأثير كبير على افكار رادكليف براون، فدور كايم اعتقد ان القانون من الملامح التنظيمية الاساسية في الحياة الاجتماعية، سواء كانت معايير السلوك والقانون مدونة او لم تكن فأن وظيفتها الرئيسية هي تنظيم العلاقات الاجتماعية، فالقانون في كتابه تقسيم العمل في المجتمع نظر اليه من قبل دوركايم على انه احد المظاهر الخارجية لصيغ التضامن او التماسك الاجتماعي وهكذا فأن نمط القانون في حالة التماسك الميكانيكي غالبا مايتصف بالقمع، اما في حالة التماسك العضوي فأنه يتميز بصفته التعويضية وليس القمعية. وعليه فأن طبيعة القانون الذي يسود في مجتمع من المجتمعات ليس ببساطة الدلالة على طبيعة التماسك في ذلك المجتمع كما اعتقد بعض من كتب عن دوركايم او ان الانتحار دلالة على فقدان التماسك الاجتماعي ولكن القانون يعتبر احد الملامح المعيارية للمجتمع وأحد الوسائل الاساسية في تنظيم التماسك الاجتماعي نفسه.

وعلى كل حال، فأن كتاب تقسيم العمل في المجتمع كان الكتاب الوحيد الذي حاول فيه دوركايم ان يحلل المجتمع من الناحية القانونية بينما اصبح مثل هذا الاتجاه الشغل الشاغل لعلماء الانثروبولوجيا في انكلترا، بل انه حدد اهداف مايعرف بالانثروبولوجيا البريطانية عموما فتحت تأثير رادكليف بقيت الانثروبولوجيا البريطانية حيثما تركها دوركايم، اذ ركزت اهتمامها اولا واخيرا على العلاقات القانونية او الشرعية اي العلاقات ذات الصفة الشرعية او نصف شرعية في المجتمعات البدائية. وعمليا فأن هذه الفكرة قد طبقت على العلاقات الاجتماعية العرفية والقانونية التي تساندها الجزاءات ذات الصفة الالزامية كافة فهي اذن لم تطبق فقط على الترتيبات التنظيمية الخاصة بفض النزاعات بين الجماعات والافراد او تعويض من يقع عليهم الاذى عن طريق الاجراءات القانونية بل طبقت على مساحة واسعة من العلاقات الاجتماعية التي تعتبر ملزمة لافراد المجتمع في ضوء توقعات السلوك التي ينتظرها بعضهم من البعض الاخر.

لقد اهتمت الانثروبولوجيا الاجتماعية بالنظم القرابية باعتبارها احد المباديء الرئيسية في التماسك الاجتماعي في المجتمعات البدائية. فالانساق القرابية قد حُللت او درست باعتبارها ذات مكانة وصفة الزاميتين باستطاعتها ان تنظم سلوك مجموعة من الاقارب بعضهم تجاه البعض الاخر. واذا ماوضعنا باعتبارنا تعقيدات النظم القرابية وقواعدها والتعقيدات التي تحيط بالاصطلاحات التصنيفية وعلاقتها بقواعد اخرى (كالقواعد التي تنظم اختيار الزوج او الزوجة وقواعد الانحدار والوراثة) فسوف لن يكون غريبا ان تستحوذ مشكلة وصف التنظيمات القرابية بشكل تفصيلي على جزء كبير من دراسات الانثروبولوجيا الاجتماعية وكذلك تصنيف قواعد القرابة الرئيسية والتي تسمى (بالمباديء البنائية) ومقارنتها مع بعضها الاخر على امل اكتشاف ملامح التشابه بينها بحيث يمكن صياغتها على انها نوع من القوانين السوسيولوجية العامة. ففي بعض المجتمعات، وخاصة المجتمعات التي يطلق عليها في الكتابات الانثروبولوجية بالمجتمعات الانقسامية، تعتبر جماعات النسب من العوامل الاساسية في التكامل الاجتماعي، ومثال على ذلك الدراسة التي قام بها ايفانز برتشارد عن النوير الذين يتألفون من عدد من القبائل التي لايجمعها معا اي شكل من الرياسة ويعود السبب في تماسكها الى التمايزات التي تقوم بين جماعات النسب من خلال مايطلق عليه بمبدأ (الانشقاق والالتحام) بحيث يصعب فهم أي وحدة اجتماعية متمايزة الا في ضوء علاقاتها بالوحدات الاخرى المماثلة من ناحية، وعلاقاتها بالبناء كله من الناحية الاخرى. وكما هو واضح من هذا المثل فأن التنظيم

القرابي كبناء شبه شرعي يؤثر في الفعاليات الاجتماعية الاخرى كالفعاليات الاقتصادية والدينية ويقودنا الى معرفة الاشكال او الصيغ التي تتخذها السلطة للسيطرة في المجتمعات التي تمتلك تنظيما سياسيا او تلك التي تفتقر اليه. ففي حالة النوير أن التنظيم السياسي بينهم يتكون بالاساس من العلاقات التي تقوم بين جماعات النسب او البدنات التي تتحدد مع بدنات اكبر منها لتكون العشائر التي تتميز بكونها جماعات متعاونة بسبب روابط القرابة العاصبة الناشئة من انحدارهم من سلف واحد مشترك وما يترتب على هذه العلاقات من التزامات سياسية واقتصادية[١٠] اما المجتمعات من النوع الثاني اي التي تمتلك تنظيما سياسيا والتي تتميز بوجود رؤ وساء وتنظيم هرمي للسلطة فهي الاخرى قد حللت من قبل الانثروبولوجيين من زاوية الارتباطات القائمة بين القرابة والصيغ التي تتخذها السلطة السياسية، من هذا يمكن ان ندرك اهمية العلاقات القرابية في المجتمعات البدائية فهي تحتل مكانا مهما في حياة افراد المجتمع البدائي وذلك من حيث الالتزامات والواجبات التي تفرضها على افراده بحيث يمكن القول ان قوة العلاقات القرابية في مثل هذه المجتمعات تشبه قوة الالتزامات التي تفرضها القوانين الوضعية في المجتمعات الحديثة وكنتيجة لمثل هذا الاتجاه اعتبرت العلاقات ذات الطابع الشرعي من اهم مكونات فكرة البناء الاجتماعي، وفي الوقت نفسه اعتبرت الاحاطة بالتنظيمات المعيارية للبناء الاجتماعي ودراستها من اهم (العوامل التي تساعد على فهم المجتمع ككل)[١١] وفي معظم الحالات فأن فكرة البناء الاجتماعي قد طورت من قبل الانثروبولوجيين نتيجة لدراساتهم الميدانية للمجتمعات البدائية في افريقيا واسيا. لذلك جاءت تعريفاتهم وتصوراتهم عن العلاقات الاجتماعية التي تشكل البناء الاجتماعي متباينة ومختلفة. فمثلا يرى ايفانز برتشارد الذي تأثرت اراءه بدراسته الحقلية عن النوير وماتشكله جماعات النسب من تنظيمات معقدة ان مايكون البناء الاجتماعي هو العلاقات التي تقوم بين الجماعات، فالعلاقات البنائية هي العلاقات التي تقوم بين الجماعات التي تشكل النسق، ومانقصده بالبناء يعني الارتباطات المنظمة التي تقوم بين هذه الجماعات فالبناء الاجتماعي لمجتمع من المجتمعات هو نسق من الابنية التي يقوم

---

١٠ ـ ابو زيد احمد المصدر السابق.

١١ ـ انظر في ذلك African Political Systemed by M. Fortet and E. E. Evans Prichard Oxford 1940 and African Systems of Kinship and Marriage, ed by A. R. Radcliffe Brown and D. Forde Oxford 1950.

بينها نوع الارتباط المتبادل[١٢] وهنا يختلف ايفانز برتشارد عن رادكليف براون الذي يرى ان البناء الاجتماعي هو (شبكة العلاقات الاجتماعية الحقيقية الموجودة بين الاشخاص) اما بالنسبة الى فيرث (**Firth**) فان البناء الاجتماعي عنده يتكون من بعض العلاقات الاساسية في المجتمع، وفحوى هذه الفكرة هي تلك العلاقات الاجتماعية التي تبدو ذات اهمية كبيرة لسلوكية اعضاء المجتمع فلو قدر لمثل هذه العلاقات ان تختفي لما امكن القول ان ذلك المجتمع لازال موجودا[١٣] اما بالنسبة الى نادل فلقد كان تحديده لفكرة البناء الاجتماعي اكثر تجريدا، وباستخدامه لفكرة الدور (**Role**) التي لم تكن قد ظهرت بعد في الانثروبولوجيا الاجتماعية، فقد اكد اهمية العلاقات التي تقوم بين الاشخاص الذين يلعبون ادوارا مهمة بعضهم تجاه البعض الاخر[١٤].

مما سبق نلاحظ انه على الرغم من الاختلافات التصويرية لفكرة البناء الاجتماعي الا انها جميعا تشير الى العلاقات الحقيقية التي تقوم بين الظواهر الاجتماعية، سواء كانت هذه الظواهر هم الاشخاص في رأي رادكليف براون او الجماعات عند ايفانز برتشارد او الادوار في تصور نادل واخيرا يمكن التوصل الى معرفة هذه العلاقات عن طريق الملاحظة او القيام بنوع من التجريد البسيط للحقائق الاجتماعية. وهكذا فان البناء لايشير الى اكثر من التنظيم الواقعي او الحقيقي للمجتمع.

والواقع اننا لو تأملنا اعمال رادكليف براون وغيره من ممثلي المدرسة البنائية الوظيفية في الانثروبولوجيا للاحظنا انهم لم (يعدلوا) فقط في افكار دوركايم، بل انهم قد انحرفوا عنها، فبالنسبة لدوركايم يقوم البحث السوسيولوجي عنده على اساس دراسة العلاقات الكامنة في البناء الاجتماعي اضافة الى الاشكال الخارجية التي تتخذها الحقائق الاجتماعية، ولذلك يقول: (ان حقائق الحياة الخلقية يمكن ان تدرس وتحلل بالطريقة الموجودة في العلم الطبيعي نفسها).

ان المنهج الدوركايمي هذا لم يؤخذ بنظر الاعتبار في الدراسات الانثروبولوجية البريطانية بالرغم من الادعاء بذلك. فالكلية في مفهوم دوركايم ليس مجرد مجموع العناصر التي تتألف منها الحقائق الاجتماعية كما فهمها مالينوفسكي ورادكليف براون واتباعهما وبالاضافة الى ذلك عجز المنهج البنائي الوظيفي في تفسير التغيرات التي تحدث في المجتمعات بالرغم من تطلعات علماء هذا المنهج.

١٢- E. E. Evans - Pritchard the Nuer, in A frican Political Systems PP 62 - 3

١٣- R. Fifth Elements of Social Organisation, Boston, Beacon Press, 1964, P. 31

١٤- S. Nadel, The Theory of Social Structure London, Cohen and West, 1957, P 12

يمكن القول ان الدراسات الانثروبولوجية التي اجريت من قبل الانثروبولوجيين العرب وبخاصة من اتباع المدرسة الانثروبولوجية البريطانية «الوظيفية ـ البنائية» قد اقتصرت على دراسة الاشكال الخارجية دون الربط بين هذه الاشكال الخارجية او المظاهر الخارجية والعلاقات الكامنة في ذلك البناء.

وعموماً فأن مثل هذه الدراسات قد تأثرت بالاتجاهات التي صاغها رادكليف براون وايفانز برتشارد من مدرسة اكسفورد وفي بعض الاحيان كان الانثروبولوجيون العرب اكثر التزاماً من زملائهم الانكليز في التقيد بمفردات هذا المنهج واتباع اصوله وبخاصة ماتعلق منه بالجانب الوصفي لجوانب الحياة الاجتماعية للمجتمع الذي قاموا بدراسته وفي تفسير التغيرات الاجتماعية التي يتعرض لها ذلك المجتمع.

وباختصار يمكن القول ان تلك الدراسات وبخاصة ماأجري منها في فترة الخمسينات والستينات من هذا القرن كانت دراسات اثنوجرافية وليست انثروبولوجية بالمعنى المتعارف عليه الان في الاوساط العلمية.

من المعروف ان الدراسات الاثنوجرافية تميل بطبيعتها الى السرد القصصي للاحداث التي يتعرض لها مجتمع من المجتمعات، كما انها تميل في الوقت نفسه الى وصف وقائع المجتمع المدروس دون ان تسهم في تحليل علاقاته الاجتماعية وفق نظرية سوسيولوجية فمثل هذه الدراسات اقرب في طبيعتها الى التأريخ بمعناه الكلاسيكي منها الى الدراسات السوسيولوجية بمعناها المعروف الان.

ان افضل الامثلة على مثل هذا الاتجاه الاثنوجرافي في دراسة المجتمعات في منطقة الخليج العربي هي تلك الدراسة التي قام بها المرحوم الدكتور شاكر مصطفى سليم عن قرية الجبايش في جنوب العراق في الخمسينات والدراسة التي قام بها الدكتور فاروق العادلي سنة ١٩٨٣ عن مدينة الخور في دولة قطر. ان كلا الدراستين وبخاصة الاولى منها «اي دراسة الدكتور شاكر مصطفى سليم» كانت تطبيقاً واضحاً للمنهج الاثنوجرافي لذلك خلت تلك الدراسة من اي تحليل سوسيولوجي للعلاقات العشائرية في مجتمع الجبايش كما ان هذه الدراسة اخفقت بسبب ذلك المنهج من معالجة اي معضلة نظرية في الانثروبولوجيا الاجتماعية وعلم الاجتماع على حد سواء.

اما الدراسة الثانية والتي قام بها الدكتور فاروق العادلي عن مدينة الخور في دولة قطر فتذكرنا بالدراسات والتقارير التي كان الرحالة والمبشرون في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر يبعثون بها الى علماء الانثروبولوجيا في انكلترا وامريكا عن طبيعة الحياة الاجتماعية بين الهنود الحمر والزنوج في امريكا الشمالية وافريقيا لذلك جاءت هذه

الدراسة بعيدة جداً عن موضوع الانثروبولوجيا الاجتماعية بشكلها وصيغتها القديمة والحديثة فهي لهذا السبب لاتصلح للمقارنة كما انها لاتعطي الا فكرة غامضة وغير واضحة عن طبيعة الناس والحياة في تلك المدينة.

يمكن القول ان الدراسة التي قام بها الدكتور علاء البياتي عن قرية الراشدية في وسط العراق اكثر التزاماً بالمنهج الوظيفي البنائي من الدراستين السابقتين، لذلك فأن هذه الدراسة تحاول ان تعطي الانطباع على ان مجتمع القرية يشكل مجتمعاً متجانساً اي انها درست مجتمع القرية في حالته الاستاتيكية وليست الحركية وهذا مايفترضه المنهج المذكور تجنباً لاثارة اي نقاش عن موضوع الصراع والتغير الاجتماعي، ولذلك يؤكد المؤلف في مقدمة دراسته ان «وجود الاستقرار السياسي والهدوء النسبي الذي تتمتع به القرية بالنسبة الى بقية القرى التي تعرضت اثر ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الى القلق الاجتماعي والاضطراب وعدم الاستقرار، حملني على دراستها ودفعني الى اختيارها دون سائر القرى، فالقرية رغم هذه التقلبات السياسية والاضطرابات بقيت بعيدة نسبياً عنها بسبب ارتباط مصالح سكانها الاقتصادية وعدم وجود اشخاص وجماعات يسهمون في اثارة الصراع السياسي لهذا نرى ان الاستقرار والهدوء النسبي هذا ساعدني الى حد كبير على الملاحظة والمشاركة في الحياة الاجتماعية اليومية بطريقة فعاله»[١٥].

ان المنهج الوظيفي ـ البنائي الذي اتبعه الدكتور البياتي في دراسته لقرية الراشدية فرض عليه موقفاً سياسياً وعلمياً في الوقت نفسه فبالاضافة الى التحديدات التي يفرضها هذا المنهج كما اوضحنا ذلك في الصفحات السابقة ينكر المؤلف حدوث صراع في القرية بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وهي من القرى التي خضع كبار ملاك الاراضي فيها الى قانون الاصلاح الزراعي لعام ١٩٥٨ وشهدت احداثاً يعرفها جيداً الدكتور مؤلف الكتاب.

اما الدراسة الاخرى التي اتبعت المنهج الوظيفي البنائي في تفسيرها للحياة الاجتماعية فهي تلك الدراسة التي قام بها الدكتور عبد الله بجره عن احدى القرى في اليمن الجنوبي لقد اجريت تلك الدراسة في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ اي خلال الفترة التي منحت فيها بريطانيا اليمن الجنوبي مايسمى بالاستقلال انذاك مع بقائها كقوة استعمارية تفرض اشرافها المباشر وغير المباشر على حياة الناس في تلك المنطقة وذلك من خلال الادارات الحكومية التي قامت بتعيينها.

---

١٥ ـ البياتي،علاء الدين جاسم، الراشدية ص ٨.

تتكون القرية التي درسها الدكتور بجره من ثلاث جماعات وهذه الجماعات هي اولاً جماعة السادة الذين يدعون الانتساب الى النبي محمد (ص) وهي الجماعة الاكثر ثراء واعلى مكانة في القرية، اما الجماعة الثانية فيطلق عليهم جماعة المشايخ وابناء القبائل وهذه تتكون من علماء الدين ورؤساء الجماعات القبلية، اما الجماعة الثالثة فهي ماتسمى بالمساكين والفقراء وهؤلاء لايحتلون في القرية الا مكانة ثانوية وليس لهم تأثير كبير في حياة القرية السياسية والاجتماعية. ان الاساس الذي يقوم عليه البناء الاجتماعي للقرية يقوم على مبدأين هما اولاً الانحدار من جماعة معينة، فالصفات التي يكتسبها الفرد هي نتيجة ذلك الانحدار والانتساب، اما المبدأ الثاني فهو القوة الاقتصادية التي تتمتع بها اي جماعة من الجماعات بحيث نلاحظ ان اي مبدأ من هذه المباديء يعزز احدها الاخر اضافة الى التلازم القائم بينهما في معظم مجتمعات دول العالم الثالث وبالاخص المجتمعات الريفية فيها.

وفي سبيل معرفة التغيرات التي طرأت على مجتمع القرية، عمد الدكتور بجره الى دراسة العلاقات الاجتماعية القائمة بين هذه المجتمعات الثلاث وقوتها الاقتصادية والاجتماعية اضافة الى دراسة علاقاتها السياسية بعضها مع البعض الاخر ومع القوى الاخرى خارج مجتمع القرية وبالذات ممثلي الحكومة البريطانية في عدن والقوى السياسية في الوطن العربي الذي كان يشهد انذاك حركة عنيفة ضد الاستعمار البريطاني قادته الحركات السياسية في مصر والعراق وسوريا فمنذ منتصف الخمسينات من هذا القرن بدأت التغيرات التي تحدث في الوطن العربي تترك اثارها القوية على مجتمع القرية، فالحركات السياسية القومية اخذت تغذي الشعور القومي عند العرب ومنهم مجتمع اليمن وذلك عن طريق الراديو والجرائد والاحزاب السياسية مما ادى الى ظهور الحركات السياسية السرية.

ان ظهور الحركات السياسية القومية اضافة الى التناقضات الاقتصادية والاجتماعية الموجودة في مجتمع القرية ادى الى انقسام الناس الى جماعتين وهما جماعة السادة الذين ربطوا انفسهم بممثلي الحكومة البريطانية وافراد القبائل والمساكين الذين انحازوا الى الحركات السياسية القومية وبذلك اصبح مجتمع القرية ساحة للصراع السياسي.

لقد كان هدف المؤلف الاساسي ايضاح الطريقة التي يتكيف بواسطتها مجتمع القرية مع التغيرات الاقتصادية والسياسية والايديولوجية على مختلف المستويات اولا ومعرفة التغيرات التي حدثت في القرية ثانيا. وهذا ماتهدف اليه المدرسة الوظيفية البنائية اذ تؤمن هذه المدرسة بقدرة المجتمعات على التكيف مع التغيرات بحيث

يستطيع المجتمع الاستمرار في الزمن لفترة طويلة دون ان تتغير العلاقات الاساسية التي يتكون منها وهو مايطلق عليه في هذه المدرسة بالبناء الاجتماعي الواقعي ، فالذي يتغير هو صورة المجتمع او الصورة البنائية لكن دون ان يعني ذلك تغيراً اساسياً في بنائه الواقعي .

ماهي طبيعة التغيرات التي حدثت في القرية وكيف نفسرها يقول عبد الله بجره ان التغيرات التي طرأت على مجتمع القرية لم تكن من القوة بحيث تؤدي الى تغيرات جوهرية في البناء الاجتماعي ونظام المكانات الاجتماعية فيه وذلك للاسباب التالية :

١ ـ ان الموارد الاقتصادية في القرية خاصة وفي اليمن الجنوبي عموماً كانت محدودة

٢ ـ لم يكن هناك تطور اقتصادي في القرية نفسها .

٣ ـ ان معظم الذين يهاجرون كانوا في الحقيقة من الجماعات الاكثر ثراء وقوة من الناحية الاقتصادية ولهذا استمرت العلاقة نفسها التي يقوم عليها البناء الاجتماعي للقرية وهي بالتحديد المكانة الاجتماعية والثروة اذ لم تظهر اسس اخرى للمكانة الاجتماعية في القرية بدلاً عنها فتوزيع الثروة في القرية استمر كما كان الامر عليه قبل الاستقلال فالحكومة البريطانية لم تغير شيئاً من ملكية الاراضي وليس من صالحها ان تفصل ذلك بل على العكس استمرت في الاعتماد على الجماعات نفسها التي تعاونت معها بعد الاستقلال ومثل هذه الجماعات كانت اكثر قدرة على استغلال الفرص من غيرها وذلك بفضل مكانتها الاقتصادية والاجتماعية والعلاقات التي كونتها خارج مجتمع القرية .

وباختصار يمكن القول ان المدرسة الوظيفية البنائية كان همها الاول البحث في الاسس التي يقوم عليها البناء الاجتماعي والعوامل التي تساعده على حفظ توازنه وتماسكه وان المبرر الذي استند عليه علماء هذه المدرسة هو ان المجتمعات البدائية غالبا ماتتميز بالبساطة والتجانس والعزلة لذلك فهي بعيدة عن الاحتكاك بالثقافات الاجنبية والوافدة ولهذا السبب اهملت المدرسة المذكورة تحليل العلاقات الاجتماعية الاساسية المكونة لهذه المجتمعات واقتصرت بحوثها على الاشكال الخارجية للظواهر والعلاقات الاجتماعية .